

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
قنم الشؤون الفكرية والثقافية
معهذ تراث الأكتباء للدراسات الجوزة الألكرونية

وصايا المرجعية الى الشباب المؤمن

توضيح لوصايا المرجعية الدينية
الى الشبية المؤمنة في زمان تكثر فيه
الضفلة عن قيم الدين وتعاليمه الهامية

مقدمة المعهد

معهد تراث الأنبياء، مؤسّسة علمية حوزوية تُدرّس المناهج الدّينية
المعدّة لطلّاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

الدراسة فيه عن طريق الانترنت وليست مباشرة.

يساهم المعهد في نشر وترويج المعارف الإسلاميّة وعلوم آل
البيت عليهم السلام ووصولها إلى أوسع شريحة ممكنة من المجتمع، وذلك من
خلال توفير المواقع والتطبيقات الإلكترونيّة التي يقوم بإنتاجها كادر
متخصّص من المبرمجين والمصمّمين في مجال برمجة وتصميم المواقع
الإلكترونية والتطبيقات على أجهزة الحاسوب والهواتف الذكيّة.

وبالنظر للحاجة الفعلية في مجال التبليغ الإسلامي النسوي فقد
أخذ المعهد على عاتقه تأسيس جامعة متخصّصة في هذا المجال، فتمّ
إنشاء جامعة أمّ البنين عليها السلام الإلكترونيّة لتلبية حاجة المجتمع وملء
الفرغ في الساحة الإسلاميّة لإعداد مبلّغات رساليّات قادرات على
إيصال الخطاب الإسلامي بطريقة علمية بعيدة عن الارتجال في العمل
التبليغي، بالإضافة إلى فتح التخصصات العقائدية والفقهية والقرآنية.

على أن المعهد لم يُهمل الجانب الإعلامي، فبادر إلى إنشاء مركز القمر للإعلام الرقمي، الذي يعمل على تقوية المحتوى الإيجابي على شبكة الانترنت ووسائل الإعلام الاجتماعي، حيث يكون هذا المحتوى موجَّهاً لإيصال فكر أهل البيت عليهم السلام وتوجيهات المرجعية الدينية العليا إلى نطاق واسع من الشرائح المجتمعية المختلفة وبأحدث تقنيات الإنتاج الرقمي وبأساليب خطابية تناسب المتلقي العصري.

والمعهد يقوم بطباعة ونشر الإنتاج الفكري والعلمي لطلبة العلم، ضمن سلسلة من الإصدارات في مختلف العناوين العقائدية والفقهية والأخلاقية، التي تهدف إلى ترسيخ العقيدة والفكر والأخلاق، بأسلوب بعيد عن التعقيد، يستقي معلوماته من مدرسة أهل البيت عليهم السلام الموروثة.

وهذا الكتاب يُعنى بشرح وصايا سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني إلى الشباب المؤمن، لتتم الاستفادة منها على اتم وجه مرجو، فجزى الله تعالى سماحة الشيخ محمد راضي لقيامه بهذا العمل خير الجزاء.

نسأل الله ﷻ أن يجعل عملنا في عينه، وأن يتقبَّله بقبوله الحسن، إنه سميع مجيب.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه، محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على اعدائهم اجمعين.

أما بعدُ:

فهذه مجموعة من وصايا قيّمة، أوصى بها فقيه الطائفة آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظلّه جمعاً من الشباب الجامعي والناشطين الاجتماعيين، حين طلبوا منه النصيحة، وبيان الموقف المطلوب منهم، وهي ثمان وصايا، تشتمل على أمور، من نفائس الحكمة التي تكفل سعادة الدارين لمن التزم بها، وسار وفقها، وهي مع وضوحها، تحتاج الى شيء من التفصيل والبيان، وإبراز ما تضمنته من التوجيه والإرشاد والنصح، وتقريبه لدى الأذهان؛ فتكون في متناول جميع الشباب، تحصيلاً للمراد منها من دون اشكال أو توقف.

ولأجل ذلك سوف تكون لنا وقفات في عرض هذه الوصايا وتوضيحها، في ضمن مقاطع عدة، حيث سنقوم بتقسيم كل وصية الى مقاطع، يتكفل كل مقطع منها ببيان كل جزء جزء، وما ذلك إلا لغرض التبسيط والحفظ والتوجه الى الموضوع بشكل جيد، سائلين المولى تعالى التوفيق في هذا العرض والبيان، واستفادة الأخوة القراء الأعضاء، لا سيما الشباب، مما ورد في هذه الوصايا والنصائح، إنه نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد

أهمية النصيحة في حياة الناس

قال تعالى شأنه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾^(١).

لا يخفى أن دور النصائح والإرشادات في حياة المؤمنين إنما هو دور التنبيهات والدوأل على الطريق، فهو دور مهم، ينبغي للمؤمن الاهتمام والعناية بها، ولا يبقى مصراً على تقصيره، أو على غفلته عنها، بعد الالتفات إليها؛ لئلا ينتهي به الحال الى مصير لا يُحسد عليه.

ومن الواضح: أن ثمة نصائح قيّمة صدرت من المرجعية العليا في النجف الاشرف الى الشباب المؤمن، وهي وإن كانت موجهة الى الشباب خاصة، إلا أنها نصائح تهتم المؤمن مطلقاً، شاباً كان أو غيره، نعم الشباب لهم القدح المعلن فيها؛ لأنهم هم من يُعقد الأمل عليهم، وهم الجيل الصاعد الذي يُترقب منه القيام بمهام جسيمة في مختلف

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٢.

شؤون الحياة وجوانبها.

ومن جهة أخرى فإنّ الشباب هم في أمسّ الحاجة الى بيان الحقيقة لهم، وتوضيح الوظيفة المطلوبة منهم، وذكر منابع القوة عندهم، وبثّ روح الثقة والتفاؤل فيهم، ودفع الإشكالات المطروحة امامهم، لا سيما في هذا الزمان الذي يعجُّ بألوان مختلفة من الانحراف والتهيه والضلال.

وينبغي أن يُعلم أنّ هذه الوصايا لها قيمة خاصة؛ وذلك لأنها صادرة من مرجع الأمة الأعلى ذِمَّةُ اللَّهِ؛ وهذا يستدعي أن تحظى بأهمية بالغة من لدن الشباب خاصة؛ لما لها من أثر واضح في تقويم اعتقاده النظري، وتصحيح سلوكه العملي، وينبغي الأخذ بها؛ لأنها تضمن سعادة الدارين.

وكلما كان الناصح ذا تجربة وخبرة، وذا شفقة وعطف، كان الأخذ بنصيحته أوجب وأكثر، وكانت مخالفته مورثة للحسرة والندامة، ومما ورد عن امير المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد قوله:

«إنّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة، وتعقب

الندامة»^(١).

(١) ميزان الحكمة، ٤٥ / ١٠.

الطلب المرفوع لسماحة السيد دام ظلّه

بسم الله الرحمن الرحيم

تحية طيبة للمرجع الديني الأعلى سماحة آية الله العظمى السيد
علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه الوارف):

نحن جمعٌ من الشباب الجامعي ومن الذين ينشطون في
المجال الاجتماعي، نرجو التفضّل علينا ببعض النصائح التي تنفعنا
في هذه الأيام والتي توضح دور الشباب وماذا يتطلّب منهم لكي
يمارسوا دورهم، وغيرها من النصائح التي تنفعهم برأيكم الكريم.

جمعٌ من الشباب الجامعي

والناشطين الاجتماعيين

وصايا المرجعية الى الشباب المؤمن

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فإنني أوصي الشباب الأعزاء - الذين يعنيني من أمرهم ما يعنيني من أمر نفسي وأهلي - بثان وصايا هي تمام السعادة في هذه الحياة وما بعدها، وهي خلاصة رسائل الله سبحانه الى خلقه، وعِظَةُ الحكماء والصالحين من عباده، وما أفضت إليه تجاربي، وانتهى إليه علمي.

تعقيب وتوضيح:

قبل بيان تلك الوصايا الثمان ذكر سماحته ذمّ ظلّه ثلاثة أمور:

١- إنّ هذه الوصايا والنصائح تُمثّل تمام السعادة في هذه الحياة وما بعدها، نعم تمام السعادة فيهما معاً، وليس في الدنيا فقط، بل وفي الآخرة أيضاً.

٢- إنّ الشباب هم موضع اهتمامه دام ظلّه، ولا تختلف عنايته لهم عن عنايته بنفسه وأهله.

٣- إن هذه الوصايا هي خلاصة وعصارة.

أما أنها خلاصة فهي خلاصة مراد الرسائل الربانية الشريفة على اختلافها وتعدّها الى الناس، وهي خلاصة عظة الحكماء والصالحين من عباده.

وأما أنها عصارة فهي عصارة تجارب كثيرة استغرقت عمراً طويلاً من حياته ﷺ، حتى انتهى علمه إليها، واستقرّ عندها، فهي ليست نظريات فقط، بل هي تجارب ايضاً.

ومن ها هنا فحريُّ بنا الاعتناء بها، والالتزام بمضامينها، والانصات لصوت الحق والوقوف على ما ورد فيها بتأمل وتدبّر؛ كي نحظى بثمراتها الطيبة، ونتائجها المباركة.

الوصية الأولى

المقطع الأول

الأولى: لزوم الإعتقاد الحق بالله سبحانه والدار الآخرة، فلا يُفَرِّطَنَّ أحدكم بهذا الإعتقاد بحال بعد أن دلت الأدلة الواضحة وقضى به المنهج القويم، فكلُّ كائن في هذا العالم - إذا سبر الإنسان أغواره - صنع بديع يدُّ على صانع قدير وخالق عظيم، وقد توالى سبحانه رسائله من خلال أنبيائه للتذكير بذلك، وقد أبان فيها عزَّ وجلَّ أنَّ حقيقة هذه الحياة - كما رسمها هو - مضار يبلو فيه عباده أيهم أحسن عملاً، فمن حجب عنه وجود الله سبحانه والدار الآخرة فقد غاب عنه من الحياة معناها وآفاقها وعاقبتها وأظلمت عليه المسيرة فيها، فليحافظ كلُّ واحد منكم على اعتقاده بذلك، وليجعله أعزَّ الأشياء لديه كما هو أهمُّها، بل يسعى الى أن يزداد به يقيناً واعتباراً حتى يكون حاضراً عنده، ينظر إليه بالبصيرة النافذة والرؤية الثاقبة، وعند الصباح يحمد القوم السرى.

تعقيب وتوضيح:

في هذا المقطع يؤكد سماحته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على لزوم العناية بالعتيدة الحقة بالله تعالى، وبيوم القيامة.

وليس من الصحيح، ولا من المقبول أن يُفَرِّط الانسان بهذا الإعتقاد الثمين بحال من الأحوال، وبسبب أو بآخر؛ وذلك لقيام الأدلة العقلية الكثيرة عليها التي لا يرتاب فيها أحد من العقلاء، وكذا الادلة النقلية، والمنهج القويم.

فكلُّ كائن في هذا العالم هو صنع بديع، وفيه دلالة واضحة على صانع قدير، وخالق عظيم، ولم يكن بمحض صدفة، او كان بلا هدف وغاية، أو كان صنع خالق غير مستجمع للعلم والحكمة والقدرة، وهذا واضح لمن سبر أغوار هذا العالم.

وقد أرسل الله تعالى أنبياءه ورسله الى العباد، وأرسل معهم كُتُباً سماوية من التوراة والإنجيل والصحف والقران وغيرها لتذكيرهم بما هدى إليه العقل من ذلك الإعتقاد، وتلك الدلالة عليه تعالى.

وقد أبان الله تعالى في كلِّ تلك الرسالات أن حقيقة هذه الحياة مجرد ميدان للسباق يتبارى فيه العباد في أعمالهم، ويُجْتَبَرُونَ فيها فيُعرف أيهم أحسن عملاً، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿١﴾.

ثم إن من حُجب عنه الاعتقاد بوجود الله تعالى وبيوم القيامة؛ بسبب أو بآخر، فقد غاب عنه من الحياة معناها وآفاقها وعاقبتها، بل تصير مسيرته في الحياة حينئذٍ مظلمة؛ لأنَّ السير من دون عقيدة لا يزيد الانسان سوى التعب والنصب، وليس فيه هدى ولا نور.

ومن هنا يجب على الانسان المحافظة على تلك العقيدة الثمينة التي ينبغي أن تجعل في عداد الأشياء العزيزة بالنسبة له، بل ينبغي أن تُجعل من أعزِّ الأشياء لديه وأنفسها، كما هو أهمُّها.

وليس الأمر يقف عند هذا الحدِّ فقط، بل المطلوب منه الازدياد في اليقين والاعتبار بذلك الاعتقاد؛ وذلك بأمور عدة، منها: التأمل والتدبر في الاشياء، ومنها: قراءة الكتب النافعة في العقيدة، ومنها: الاستماع الى أهل الشأن والتخصُّص في هذا المجال، وغير ذلك.

وليُعلم أنَّ أيَّ مجد يمكن ان يحصل عليه الانسان، وأية غاية يريد ان يصل اليها، لا يكون له ذلك من دون عناء وصبر، فمن صبر ظفر، ومن دون هذا وذاك، فلا يحصل على أيِّ شيء.

(١) سورة الملك، الآية: ٢.

حتى قيل في المثل: «وعند الصباح يحمدُ القومُ السُّرى»، ومعناه: أنَّ
الذي يسير في الليل يحمدُ مسيره اذا أصبح، وهو مَثَلٌ يُضرب في الحثِّ
على مزاولة الفعل بالصبر وتوطين النفس على تحمُّل المشاق حتى تُحمد
عاقبته، او قل: يُضرب لمن يدرك غايته بعد ليل طويل ومعاناة وصبر،
والسُّرى: هو المسير ليلاً.

المقطع الثاني

واذا وجد المرء من نفسه في برهة من عنفوان شبابه ضعفاً في دينٍ مثل
تثاقل عن فريضة أو رغبة في ملذة فلا يقطعنَّ ارتباطه بالله سبحانه
وتعالى تماماً، فيُصعّب على نفسه سبيل الرجعة، وليُعلم أنّ الإنسان
إذا تنكّر لأمر الله سبحانه في حالة الشعور بالقوة والعافية إغتراراً بها
فإنه يؤوب إليه تعالى في مواطن العجز والضعف اضطراراً، فليتأمل
حين عنفوانه - الذي لا يتجاوز مدة محدودة - في ما هو مقبل عليه من
مراحل الضعف والوهن والمرض والشيخوخة.

توضيح ذلك:

إنّ الانسان في بعض الأوقات من شبابه قد يعتري دينه الضعف
من جرّاء بعض ما يواجهه في حياته، او بسبب النفس الأمّارة بالسوء؛
فيظهر أثر ذلك الضعف على واجباته الشرعية كأن يتثاقل عن أداء
الفريضة، أو تجرّه رغبة معينة في ملذة من الملذات المبعّدة له عن دينه،
أو نحو ذلك، وفي هذه الحالة يجب أن يكون حذراً ويقظاً.

فلا يجعل مثل ذلك الضعف سبباً في قطع ارتباطه بالله تعالى تماماً، وفي البعد عنه تعالى بالكلية؛ وذلك لأنّ قطع العلاقة مع الله تعالى تماماً يُسبّب له صعوبة الرجعة إلى الله تعالى والتوبة من الذنوب والمعاصي.

وليس خفياً أنّ الإنسان مهما ابتعد عن الله تعالى بسبب تنكّره لأنعمه عليه وتجاهله لواجباته عليه، في حالة شعوره بالقوة والعافية واغتراره بهما، فإنه لا بُدّ من ان يرجع الى سلطان الله تعالى وقدرته في مواطن هجوم الأمراض والعجز والهزم عليه.

حينها لا يجد له ناصرّاً على ما يواجهه سواه تعالى؛ ولأجل ذلك ينبغي للمرء أن يتأمل في وقت شبابه وقوته وعنفوانه - ذلك الوقت الذي لا يتجاوز مدة محدودة - في ما هو مقبل عليه في مستقبل حياته من مراحل ذهاب القوة والضعف والوهن والعجز والمرض والشيخوخة.

المقطع الثالث

وإياه أن ينزلق الى التشكيك في المبادئ الثابتة لتوجيه مشروعية ممارسته وسلوكه إقتفاءً لشبهات لم يصبر على متابعة البحث فيها، أو إسترسالاً في الإعتماد على أفكار غير ناضجة أو إغتراراً بملذات هذه الحياة وزبرجها أو إمتعاضاً من إستغلال بعض لإسم الدين للمقاصد الشخصية، فإنّ الحق لا يُقاس بالرجال بل يُقاس الرجال بالحقّ.

إهداء الصواب لأولي الألباب:

هذا هو المقطع الأخير من الوصية الأولى يُحذّر رَبِّمُؤْمِنِينَ فيه المؤمنين، لا سيما الشباب بلزوم الحذر والتيقظ من الانزلاق في التشكيك في المبادئ الثابتة والأسس القويمة في العقيدة والسلوك لتوجيه ممارستهم وسلوكهم.

ويكون هذا التشكيك بسبب جملة من الامور الباطلة، والدوافع المجانبة للصواب، ومن هذه الامور:

١- الاقتناء والمتابعة لبعض الشبهات التي تبدو انها صحيحة وحقّة، ولكنها في الواقع ليس كذلك، بل هي كسرابٍ بقيعة يحسبه الضمان ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً، وما اكثر هذه الشبهات في وقتنا الحاضر.

ومما يؤسف له أنّ ما يجعل شبابنا الطيبين فريسة لمخالب تلك الشبهات وأنيابها انها هو ترك البحث والاطلاع على مصدرها ومدى صدقها من زيفها؛ فالشباب في الوقت الحاضر هو صديق ودود لكل شيء، ولكنه عدو لدود للكتاب الذي هو خير جليس في الزمان، وإلا ففي البحث تظهر حقيقة الحال في هذه الشبهات؛ لأنّ الحقيقة بنت البحث.

٢- ومنها الاسترسال والجري في الاعتماد والتعويل على أفكار غير ناضجة علمياً تصدر من أشخاص ليسوا مؤهلين من جهة العلم والتعليم، وتقليدهم فيما يقولون تقليداً اعمى، وهذا يؤثر على أولئك الشباب في عقيدتهم ونظرتهم ازاء الدين، ولا اكون مبالغاً اذا قلت: إنّ التقليد الأعمى للثقافات والممارسات الغربية البعيدة عن الدين والإسلام كان له دوره الواضح في إبعاد شبابنا الطيبين عن مصدر عزّهم، ومنبع فخرهم: الدين والخلق القويم.

٣- ومنها الاغترار والنزوع الى ملذات هذه الحياة وزبرجها؛ مما يتسبب في إغماض العين، وإسدال الستار عما تمليه الشريعة من أحكام وأخلاق؛ ومن ها هنا تأتي بعض الدعوات التي ظاهرها عسل لذيذ، ولكن باطنها سم قتال.

٤- ومنها الامتعاض والنظرة السيئة عند الشباب من بعض الاشخاص الذين يدعون انهم يمثلون الدين وانهم صورة عاكسة للقيم والمثل والنبل التي جاءت بها شريعة سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن عملهم في الخارج بعيد جداً عن تلك الدعاوى؛ وهذا ما يجعل أولئك الطيبين من الشباب يتحاملون على المبادئ الدينية الثابتة، والقيم الإسلامية الرصينة.

ولكن لو التفت هؤلاء الأعداء الى حقيقة مفادها: إن الحق لا يُعرف بالرجال، وانما يُعرف الرجال بالحق، لزالَت عن اذهانهم هذه الشبهة، ولعرفوا أنّ هؤلاء لا يمتون للدين بصلة، فلا يمكن لهم ان يكونوا مُعبرين عنه بحال من الاحوال.

الوصية الثانية

المقطع الأول

الاتصاف بحُسن الخلق؛ فإنه جامع للفضائل الكثيرة من الحكمة والتروّي والرفق والتواضع والتدبير والحلم والصبر وغيرها، وهو بذلك من أهم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، وأقرب الناس الى الله سبحانه وأثقلهم ميزاناً في يوم تحفُّ فيه الموازين هو أحسنهم أخلاقاً، فليحسن أحدكم أخلاقه مع أبويه وأهله وأولاده وأصدقائه وعامة الناس، فإن وجد من نفسه قصوراً فلا يهملن نفسه بل يحاسبها ويسوقها بالحكمة الى غايته، فإن وجد تمنعاً منها فلا ييأس بل يتكلف الخلق الحسن، فإنه ما تكلف امرؤ طباع قوم إلا كان منهم، وهو في مسعاه هذا أكثر ثواباً عند الله سبحانه ممن يجد ذلك بطبعه.

إشارة وإنارة:

دعوة من سماحته ذاتِ الظلّة في وصيته الثانية الى ثلاثة أمور:

١- الاتصاف بحُسن الخلق؛ وذلك لأنَّ حُسن الخلق هو امر يجمع الفضائل الكثيرة، مثل: الحكمة والتروّي والرفق والتواضع والتدبير

والحلم والصبر وغيرها.

والانسان اذا احسن خلقه فقد تمسك بهم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، وصار اقرب الناس الى الله تعالى، بل وصار اثقل الناس ميزاناً في يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تخفُّ فيه الموازين.

وحُسن الخُلُق لا يكون مع فرد دون آخر، بل ينبغي الاتصاف به مع كلِّ الناس، مع الابوين، والزوجة، والاولاد، والاصدقاء، بل مع عامّة الناس.

٢- عدم إهمال الانسان المؤمن نفسه في حال أنه وجد فيها قصوراً، وعدم تركها تتماهى في غيِّها وخطأها، بل ينبغي له حينئذ ان يحاسبها، وأن يسوقها بالحكمة الى تلك الغاية السامية.

٣- عدم اليأس من إصلاح النفس في حال أنه وجد منها تمنعاً عن إصلاحها وإتصافها بحُسن الخلق، بل ينبغي ان يتكَلَّف في حملها على ذلك بقدر المستطاع؛ فإنَّ التكلّف في فعل شيءٍ نتيجته التلبس به، فمثلاً: من كانت العجلة في إتخاذ المواقف والأحكام سمة بارزة في سلوكه، فليحاول تركها، وليحمل نفسه على التروّي والأناة، بقدر ما يمكنه ذلك، ويتكَلَّف ذلك يوماً بعد آخر حتى يغدو في نهاية المطاف متلبساً بصفة التروّي والأناة.

وهذا ليس بأمر مستحيل، بل هو ممكن الوقوع والتحقق، غاية الامر أنّ النفس تحتاج في اتصافها ببعض الصفات الى الترويض وكبح الجحاح بالتدريج، وبهذا تنقاد لك في ما تريد حملها عليه.

وتكلف الخلق الحسن، وحمل النفس عليه فيه من الثواب بحدّ يفوق من يجدّ في نفسه أنه متصفّ بحُسن الخلق بحسب طبعه.

فإنّ المتكلف لفعل شيء من الاشياء هو اكثر ثواباً ممن يصدر منه ذلك الفعل من دون تكلف، وفي هذا من الفضل العظيم ما ينبغي ان يكون دافعاً للإنسان نحو فعل الخير وإن كانت فيه مشقة.

الوصية الثالثة

المقطع الأول

السعي في إتقان مهنة وكسب تخصص، وإجهد النفس فيه، والكدح لأجله؛ فإنّ فيه بركات كثيرة يشغل به قسماً من وقته، وينفق به على نفسه وعائلته، وينفع به مجتمعه، ويستعين به على فعل الخيرات، ويكتسب به التجارب التي تصقل عقله وتزيد خبرته ويطيب به ماله؛ فإنّ المال كلما كان التعب في تحصيله أكثر كان أكثر طيباً وبركة.

بيان الجواهر من كلام الأكابر:

في المقطع الاول من وصيته الثالثة يحثُّ سماحته عليه السلام الشاب المؤمن على السعي من أجل إتقان مهنة شريفة، أو عمل صالح. وليس هذا فقط، بل محاولة كسب تخصص من التخصصات، والابداع في تلك المهنة أو ذاك العمل، بحيث يُشار اليه بالبنان في مجتمعه. ومن الواضح: فإنّ هذا الاتقان، وذاك التخصص لا يحصلان إلا بإجهد النفس فيه، وبذل المزيد من الجهد والتعب لأجله، واما الراحة

والكسل فلا يحصل بهما على شيء يُذكر، بل يحصل على مزيد من التأخر والضعف والحسرة.

ولا يخفى فإن إتقان الشاب لمهنة معينة، وكسب تخصص ما، واجهاد النفس فيه، والكدح لأجله، فيه بركات كثيرة، وفيه فوائد وفيرة.

ومن هذه البركات والفوائد:

- ١- إشغال قسم من الوقت، والقضاء على البطالة.
- ٢- الإنفاق على النفس والعيال ببركة ما يحصل عليه من المال في هذا العمل.
- ٣- نفع المجتمع بهذا التخصص.
- ٤- الاستعانة به على فعل الخيرات.
- ٥- اكتساب التجارب التي تصقل العقل، وتزيد الخبرة.
- ٦- طيب المال؛ فإنه مال قد حصل عليه بتعب وجهد، والمال كلما كان التعب في تحصيله أكثر كان أكثر طيباً وبركة.

المقطع الثاني

كما أنّ الله سبحانه وتعالى يحبُّ الإنسان الكادح الذي يجهد نفسه بالكسب والعمل، ويُبغض العاقل والمهمل ممن يكون كلاً على غيره، أو يقضي أوقاته باللهو واللعب، فلا ينقِضينَّ شباب أحدكم من دون إتقان مهنة أو تخصص؛ فإنَّ الله سبحانه جعل في الشباب طاقات نفسية وجسدية ليُكوّن المرء من خلالها رأس مال لحياته، فلا يضيعنَّ بالتلهي والإهمال.

فيض القلم في توضيح كلام العَلَم:

في هذا المقطع من كلامه يُنبّه سباحته ذَاةً للشباب على حقيقة وهي: أنّ الإنسان الكادح والعامل الذي يُجهد نفسه بالعمل الصالح والشريف لجلب قوت نفسه وعياله هو انسان محبوب عند الله تعالى.

وعلى العكس من ذلك فإنَّ الإنسان العاقل والمهمل، الذي يجد سبيلاً للعمل، ولكنه مع ذلك لا يعمل ويُعطلّ قواه، ويبقى كلاً وثقلاً على أبيه أو أخيه أو غيرهما هو انسان مبغوض عند الله تعالى.

كما انّ الانسان الذي يقضي أوقاته باللهو واللعب من دون فائدة معتدّ بها له أو لعياله أو لغيرهما هو انسان مبغوض عند الله تعالى ايضاً. ومن ها هنا يأتي التنبيه على مرحلة الشباب لما فيها من الطاقات النفسية والجسدية العظيمة والعزيزة ما لا يوجد في غيرها من مراحل عمر الانسان الأخرى، بل هي بمثابة الزرع لما بعدها من مرحلتي الكهولة والشباب اللتين هما بمنزلة الحصاد.

فمرحلة الشباب هي مرحلة تكوين رأس المال للشباب في العلم والعمل، بما يستفيد منه فيما يعقبها من المراحل.

ولأجل ذلك كلّ ينبغي لشبابنا الأعزاء ألاّ يضيّعوا مرحلة الشباب باللهو الهابط، والإهمال المفرط، وألاّ يُفوّتوا على أنفسهم فيها إتقان مهنة أو تخصص، فإنّ مرحلة الشباب اذا أدبرت فهي لا تعود، كما لا يعود ما فيها من الطاقات والقابليات والملكات.

المقطع الثالث

وليهتم كل واحد بمهنته وتخصّصه حتى يتقنها، فلا يقولنّ بغير علم ولا يعملنّ على غير خبرة، بل يعتذر فيما لا يستطيعه أو يعلمه أو فليرجع الى غيره ممن هو أخبر منه، فإنه أذكى له وأجلب للوثوق به، وليعمل عمله ووظيفته بنفسه واهتمام، وتدوَّق وإقبال، فلا يكون همُّه مجرد جمع المال ولو من غير محلّه؛ فإنه لا بركة في المال الحرام، ومن جمع مالاً من غير حلّه لم يأمن من أن يفتح الله عليه من البلاء ما يضطر إلى إنفاقه فيه مع مزيد عناء وابتلاء، فلا غنى به للمرء في الدنيا، وهو وبال عليه في الآخرة.

المرام من كلام الأعلام:

دعوة من ساحتها رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الى الشباب المؤمنين بأن يُؤي كل واحد منهم مزيداً من الإهتمام بمهنته وتخصّصه حتى يتقنها ويحكمها.

وهذا الإهتمام يتضح بأمور عدة:

منها: اذا وُجِّه إليه سؤال عمّا لا يعلمه فلا يقول بغير علم، بل يعتذر، أو يرجع الى من هو أخبر منه؛ فالاعتذار أولى وأسلم له من تجسّم الجواب الخاطيء، بل هو أذكى له وأجلب للوثوق به من الناس، بأنه لا يُقدم على جواب بلا علم.

ومنها: أن لا يُقدم على عمل شيء من الأشياء من غير خبرة له فيه، أو من دون تمكّن من أدائه بشكل صحيح، واذا طلب منه ذلك فينبغي عليه الاعتذار، أو الرجوع الى من هو أكثر خبرة منه، وفي الاعتذار في هذه الحال اثر طيّب ومنفعة كبيرة.

ومنها: ان يُقدم على عمله بنفس واهتمام لا بضجر وعدم مبالاة، وتذوق وإقبال لا بإكراه وتناقل، ولا يكون همّة جمع المال ولو من غير محلّه الصحيح، أو من غير توفر الشروط المطلوبة؛ فإنّ المال الحرام لا بركة فيه أبداً، ولا يجلب راحة ولا سعادة.

نعم.. قد يبدو للبعض أنّ في المال الحرام راحة وطمأنينة، ولكن هذا مجرد خيال ووهم لا يستند الى دليل من آية أو رواية، ولا الى شاهد من تجربة أو ممارسة؛ فإنّ من المقطوع به أنّ من جمع مالاً من غير حلّه لم يأمن من أن يتلّيه الله تعالى ببعض المنغصات التي يضطر معها الى إنفاق ذلك المال مع مزيد عناء وابتلاء، وحينها فلا غنى له به

في الدنيا، وفي الآخرة يكون ذلك المال وبالاً ونقمة عليه.

وبما ذكرنا يُعلم مدى جهل من يُقدم على أخذ المال الحرام،
واغتراره؛ إذ لا نفع فيه في مختلف الجوانب، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

المقطع الرابع

وليجعل نفسه ميزاناً بينه وبين غيره فيكون عمله لغيره على نحو ما يعمل له لنفسه، ويُحِبُّ أن يعمل له الآخرون، وليُحَسِّن كما يُحِبُّ أن يُحَسِّن الله سبحانه إليه، وليراعِ أخلاقيات المهنة ولياقتها، فلا يتشبث بالطرق الوضيعة التي يستحي من أن يُعلنها، وليعلم أنَّ العامل والمتخصِّص مؤتمن على عمله من قِبَل من يعمل له ويرجع إليه، فليكن ناصحاً له، وليحذرنَّ خيانتَه من حيث لا يعلم؛ فإنَّ الله تعالى رقيب عليه وناظر إلى عمله، ومستوفٍ منه إنَّ عاجلاً أو آجلاً، وأنَّ الخيانة والغدر لهما أقبح الأعمال عند الله سبحانه وأخطرهما من حيث العواقب والآثار.

درر الخصال في غرر المقال:

يُحِبُّ ذِمَّتَهُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مِنْ كَلَامِهِ الشَّرِيفِ عَلَى جَمَلَةِ أُمُورٍ:

١ - مساواة الإنسان نفسه مع غيره من الناس في إتقان العمل،

بمعنى: أن يُتقن العمل للآخرين كما يُتقنه لنفسه، ويعمل لهم كما يُحبّ أن يعملوا له، ولا يُفَضِّل نفسه عليهم بشيء، بل يجعل نفسه ميزاناً بينه وبين غيره في ذلك.

٢ - إذا أراد أن يُحسن الله تعالى له فليُحسن الى الناس، ولا يمتن عليهم في ذلك.

٣- ضرورة مراعاة أخلاقيات المهنة ولياقتها المناسبة لها؛ فينبغي له ترك التشبث بالطرق المتتوية والوضيعة التي يستحي أن يُعلنها للناس، وأن يجاهر بها أمامهم.

٤ - ضرورة أن يعلم العامل أو المُتخصِّص بأنه مؤتمن على عمله من قبل من يعمل له، ومن يرجع إليه، وإذا كان كذلك فيجب عليه أن يكون ناصحاً له، ومخلصاً له في قوله وعمله.

٥ - ضرورة أن يعلم العامل أو المُتخصِّص أن الله تعالى رقيب عليه، وناظر إليه، لا تخفى عليه خافية، ومستوفٍ منه إما في العاجل، أي في الدنيا، أو في الآجل، أي في الآخرة؛ فيجب عليه ترك خيانة من يعمل له، والحذر من ذلك؛ فإنّ الخيانة والغدر هما أقبح الأعمال عند الله سبحانه وتعالى، وأخطرها من حيث العواقب السيئة؛ فالآثار الوخيمة المترتبة على الإنسان بسببها كثيرة وجسيمة.

المقطع الخامس

وليهتمّ الأطباء بين أهل المهن بمزيد اهتمام بهذه النصائح؛ لأنهم يتعاملون مع نفوس الناس وأبدانهم، فليحذرنّ كلّ الحذر من تحطّي ما تقدّم فإنه يؤول الى سوء العاقبة وإنّ غداً لناظره قريب، وقد قال سبحانه عزّ من قائل: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾، وعن النبي ﷺ: «إنّ الله تعالى يُحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتقنه».

نصح العلماء لشريحة الأطباء:

خصّ سماحته ﷺ في هذا المقطع من كلامه الأطباء بالذكر والنصيحة، وأفاد: أنّ الأطباء تُلقى عليهم مسؤولية مضاعفة من بين أهل المهن والتخصّص.

والسرّ في ذلك هو أنّ الاطباء يتعاملون مع نفوس الناس وأبدانهم؛ فلهم دور بيّن في رفع مستوى الأمل والطموح والشفاء في نفوس

الناس، كما أنّ دورهم في تماثل الأبدان للشفاء والصحة واضح، ولا يكاد يخفى.

ومن هنا تتأتى أهمية إفرادهم بالنصح والوصية، والتأكيد عليهم بلزوم مراعاة ما تقدّم من واجبات المهنة ولياقتها وأخلاقياتها أكثر من غيرهم؛ فالطبُّ هو تخصّص إنساني ومهنة أخلاقية قبل أن يكون شيئاً آخر.

ثم حذّر سباحته الأطباء في الجانب الآخر من كلامه من تحطّي تلك الواجبات وتعدّيها في تعاملهم مع الناس الذين يراجعونهم ويحتاجون إليهم؛ فإنّ ذلك يؤول وينتهي الى عواقب وخيمة في الدنيا، وفي الآخرة.

وقد حذّر الله تعالى من هذا الامر الخطير في القرآن الكريم، وخوّف منه، قال تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾﴾^(١).

وجاء التأكيد على اتقان الانسان لعمله الذي يُقدم عليه من النبي الاكرم ﷺ حيث قال: «إن الله تعالى يُحبُّ اذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

(١) سورة المطففين، الآيات: ١-٤.

المقطع السادس

وليهتم طُلاب العلم الجامعي والأساتذة فيه بالإحاطة بما يتعلّق بمجال تخصّصهم ممّا انبثق في سائر المراكز العلمية وخاصة علم الطب حتى يكون علمهم ومعالجتهم لما يباشرونه في المستوى المعاصر في مجاله، بل عليهم أن يهتموا بتطوير العلوم من خلال المقالات العلمية النافعة والإكتشافات الرائدة، وليُنافسوا المراكز العلمية الأخرى بالإمكانات المتاحة، وليأنفوا من أن يكونوا مجرد تلامذة لغيرهم في تعلّمها ومستهلكين للآلات والأدوات التي يصنعونها، بل يُساهموا مساهمة فعّالة في صناعة العلم وتوليدته وإنتاجه، كما كان آباؤهم رواداً فيها وقادة لها في أزمنة سابقة، وليست أمة أولى من أمة بذلك، وعليكم برعاية القابليات المتميّزة بين الناشئين والشباب ممن يمتاز بالنبوغ ويبدو عليه التفوّق والذكاء حتى اذا كان من الطبقات الضعيفة، وأعينوهم مثل إعانتكم لأبنائكم حتى يبلغوا المبالغ العالية في العلم النافع، فيُكتب لكم مثل نتاج عملهم ويتنفع به مجتمعكم وخلفكم.

النصيحة الجامعة لطلاب الجامعة:

في هذا المقطع الأخير من الوصية الثالثة يُوجّه سماحته ﷺ نصحه لطلاب الجامعة وأساتذتها بمراعاة جملة أمور:

١ - ضرورة إحاطتهم بمجال تخصّصهم، وبذل قصارى الجهود في سبيل ذلك؛ كيما تنبثق ثمرات هذه الإحاطة وبركاتها في سائر المراكز العلمية، بل والعملية أيضاً، وكي تكون مواكبهم للأساليب الحديثة والتفاعل معها واضحة، وتتأكد أهمية هذا الأمر أكثر وأكثر بالنسبة الى طلبة الطب، وقد اتضح السر في ذلك مما تقدم في المقطع السابق.

٢ - وينبغي لهم مزيد الإهتمام بتطوير العلوم من خلال المقالات العلمية النافعة، والإكتشافات الرائدة، والمنافسة المحمودة للمراكز العلمية الأخرى.

٣ - وينبغي ايضاً أن يأنفوا من كونهم عيالاً على الغير دوماً، بأن يبقوا تلامذة وتابعين لغيرهم في تلقي العلم والمعرفة، وانهم مجرّد مستهلكين للأدوات التي يصنعها ذلك الغير، بل يجب عليهم أن تكون لهم بصمتهم البارزة في صناعة العلم وتوليده وإنتاجه.

٤ - كما ينبغي ان يكون آباؤهم الرواد في صناعة العلم قدوة لهم في ذلك، فهم لا يقصرون عنهم بشيء إن لم يكونوا أفضل منهم في توفّر

أُمور كثيرة تساعد في تلك الصناعة من الأدوات والوسائل.

٥ - ضرورة مراعاة القابليات المتميّزة لدى الناشئين والشباب ممن توفّر على النبوغ والذكاء والفطنة، وإعانتهم العناية المطلوبة المماثلة لإعانتهم لأولادهم؛ لأجل تسنّم المبالغ والمقامات الرفيعة في العلم النافع؛ ولأجل أن يكتب لهم النجاح في طلبهم للعلم، وقطف ثمراته كما هو مرسوم له.

الوصية الرابعة

المقطع الأول

التزام مكارم الأفعال والأخلاق، وتجنّب مذامها، فما من سعادة وخير إلّا ومبناها فضيلة، وما من شقاء وشر - عدا ما يختبر الله به عباده - إلّا ومنشؤه رذيلة، وقد صدق الله سبحانه إذ قال: « وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير »، فمن الخصال الفاضلة: المحاسبة للنفس، والعفاف في المظهر والنظر والسلوك، والصدق في القول، والصلة للأرحام، والأداء للأمانة، والوفاء بالعهود والإلتزامات، والحزم في الحق، والترفع عن التصرفات الوضيعة والسلوكيات السخيفة.

ومن مذام الخصال: العصبية الممقوتة، والإنفعالات السريعة، والملاهي الهابطة، ومراعاة الناس، والإسراف عند الغنى، والإعتداء عند الفقر، والتبرّم عند البلاء، والإساءة الى الآخرين، ولا سيّما الضعفاء، وهدر الأموال، وكفران النعم، والعزّة بالإثم، والإعانة على الظلم والعدوان، وحبّ المرء أن يُحمد على ما لم يفعله.

بيان السعادة من ذوي السيادة:

يُحْتَسَبُ سَمَاحَتُهُ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مِنْ وَصِيَّتِهِ الرَّابِعَةِ الشَّبَابِ عَلَى الْإِلْتِزَامِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ، بِأَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُمْ وَأَخْلَاقُهُمْ فِي الْقِمَّةِ مِنَ الْكَمَالِ وَالسَّمْوِ؛ إِذْ أَنَّ السَّعَادَةَ كَلَّ السَّعَادَةَ فِي ذَلِكَ، بَلْ أَنَّ أَسَاسَ السَّعَادَةِ هُوَ ذَلِكَ الْإِلْتِزَامِ.

ففي الحقيقة: إِنَّ كَلَّ سَعَادَةً وَخَيْرَ يَنَالُ الْإِنْسَانَ أَصْلَهُ وَمَبْنَاهُ فَضِيلَةٌ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَأَنَّ كُلَّ شِقَاءٍ وَشَرٍّ يُصِيبُهُ أَصْلَهُ وَأَسَاسُهُ رَذِيلَةٌ مِنَ الرَّذَائِلِ، إِلَّا مَا يَخْتَبِرُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عِبَادَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (١).

وينبغي لهم أيضاً الإلتزام بتجنب مذام الأفعال والأخلاق، بأن تكون أفعالهم وأخلاقهم بعيدة عن المساوىء والرذائل.

ومن الخصال الفاضلة والحسنة:

محاسبة النفس، والعفاف في المظهر والنظر والسلوك، والصدق في القول، وصلة الارحام، و أداء الامانة، والوفاء بالعهود والالتزامات، والحزم في الحق، والترفع عن التصرفات الوضيعة والسلوكيات السخيفة.

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

ومن الخصال الذميمة والسيئة:

العصبية الممقوتة والمذمومة، والانفعالات السريعة، والملاهي الهابطة والملذات المتدنية، ومراعاة الناس، والاسراف والبطر في حال الغنى، والاعتداء والظلم في حال الفقر، والتبرّم والتضجر عند البلاء، والاساءة الى الآخرين، ولا سيما الضعفاء، وهدر الاموال، وكفران النعم وترك شكرها، والعزة بالإثم وترك الاقرار بالذنب والتوبة منه، والاعانة على الظلم والعدوان، وحبّ الانسان ان يُحمد على شيء لم يفعله.

فينبغي للشباب الاعزاء وغيرهم حثّ النفس ودفعها للاتّصاف بالفضائل، وحضّ النفس وزجرها للتجنب عن الرذائل.

المقطع الثاني

وأؤكد على الفتيات في أمر العفاف، فإنّ المرأة لظرافتها أكثر تأدياً وتضرراً بالسلبيات الناتجة عن عدم الحذر تجاه ذلك، فلا ينخدعن بالعواطف الزائفة، ولا يلجن في التعليقات العابرة مما تنقضي ملذاتها، وتبقى مضاعفاتها ومنغصاتها، فلا ينبغي للفتيات التفكير إلا في حياة مستقرة تملك مقومات الصلاح والسعادة، وما أقر المرأة المحافظة على ثقلها، ومثانتها المحتشمة في مظهرها وتصرفاتها، المشغولة بأمر حياتها وعملها ودراستها.

الكلمات المؤمنة للفتيات المؤمنة:

يؤكد سماحته عليه السلام في هذا المقطع من كلامه على الفتيات المؤمنات، ويخصهن فيه بالنصح والإرشاد، ويمكن تلخيص ما أفاده هنا في أربع نقاط:

النقطة الأولى: التأكيد على أمر العفاف بما تتضمن هذه الكلمة من الحشمة والوقار والأدب والسمت الطيب، في القول،

وفي الفعل، وفي المظهر الخارجي أمام الناس؛ وذلك لأن المرأة - بحسب تكوينها الخلقي الطريف والراقي - هي أكثر من الرجل تأذياً وتضرراً بالسلبيات الناجمة والناجمة من ترك الحيطه والحذر في أمر العفاف، ومن التسرع في أشياء قد تعود عليهن بالحسرة والندامة.

النقطة الثانية: التأكيد على عدم الانخداع بالعواطف الزائفة والسخيفة التي تنشأ مع الجنس الآخر بسبب أو بآخر، وعدم اللجوء الى تعلقات عابرة مع رجال أجنب عنها، فرضتها ظروف الدراسة أو العمل أو السفر أو غير ذلك، وعدم الاسترسال فيها؛ وذلك لأنها تعلقات وقتية سرعان ما تنقضي ملذتها، ولكن آثارها السلبية ومنغصاتها سوف تبقى تؤذيها وتلاحقها في حياتها.

النقطة الثالثة: ينبغي للفتيات ألا يفكرن في شيء سوى الحياة المستقرة التي تكفل لهن مقومات السعادة والصلاح، والحياة المفعمة باليمن والبركة، والمثمرة للطيب والنقاء، تلك هي الحياة الزوجية القائمة على أساس الدين والخلق القويم.

النقطة الرابعة: التأكيد على أهمية وقار المرأة بنحو خاص والاعجاب بها، وفي الحقيقة أنّ المرأة الوقور هي المرأة التي تتصف ببعض الأمور وهي: أنها تحافظ على ثقلها ومتانتها، وأنها تحتشم في

مظهرها وتصرفاتها، وأنها تشتغل بأمر حياتها وعملها ودراستها.

وبعد ملاحظة ما تقدّم بيانه: يعلم عظم المسؤولية الكبيرة التي تُلقى على عاتق أولياء الأمور إزاء أولادهم، لا سيّما البنات منهم، وضرورة توفير المناخ المناسب لهن للحفاظ على عفتهم، ووقارهن، وخلقهن، ودينهن.

الوصية الخامسة

المقطع الأول

الإهتمام بتكوين الأسرة بالزواج والإنجاب من دون تأخير؛ فإنّ ذلك أنسّ للإنسان ومتعة، وباعث على الجدّ في العمل، وموجب للوقار والشعور بالمسؤولية، واستثمار للطاقات ليوم الحاجة، ووقاية للمرء عن كثيرٍ من المعاني المحظورة والوضيعة حتى ورد أنّ من تزوج فقد أحرز نصف دينه، وهو قبل ذلك كلّهُ سنّةٌ لازمة من أوكد سنن الحياة، وفطرة فطرت النفس عليها، لم يفطم أمرؤ نفسه عنها إلا وقع في المحاذير، وابتلى بالخمول والتكاسل.

الصواب في زواج الشباب:

افتتح عَلَيْهِ السَّلَامُ وصيته الخامسة بنصيحة الشباب المؤمنين بأن يمتّموا بتكوين الأسرة المؤمنة والرصينة، من طريق الزواج المبكّر والإنجاب من دون تأخير.

فإنّ الاهتمام بمثل ذلك فيه فوائد كثيرة، تعود عليهم وعلى مجتمعهم.

ومن تلك الفوائد:

١- إنّ الزواج يُوفّر للانسان الأُنس والمتعة المحللة التي أباحها الله تعالى له، بأنّ يحقّق له السكن النفسي والبدني، وكذا المودة والرحمة التي تكون بينه وبين الطرف الآخر، كما أنّ انجاب الاطفال يُحقّق له ذلك ايضاً.

٢- إنّ الزواج يبعث الانسان على الجدّية في العمل، وهذا أمر محسوس بالوجدان؛ فالمتزوج انسان جادّ في عمله، وحيويته اكثر من حيوية غير المتزوج.

٣- إنّ الزواج يوجب للإنسان الوقار والهيبة، وكذا الشعور بالمسؤولية، وهذا واضح بالعيان؛ فإنّ المتزوج يسعى دائماً وراء توفير حياة كريمة لزوجته و لأولاده الذين انجبهم، وما ذلك إلا لشعوره بكونه إنساناً مسؤولاً.

٤- إنّ في الزواج والإنجاب إستثماراً للطاقات في يوم الحاجة؛ فالمرء بحسب خلقته ضعيف يحتاج الى من يقف الى جانبه، لا سيّما في وقت تكاثر العلل والأمراض في وقت الهرم وفقدان القوة، فإنّ كان ذا زوجة وأولاد فإنّ تلك الأمراض، وذلك الأذى سيخفُّ ويقلُّ بلا ريب.

٥ - إنّ في الزواج والإنجاب وقاية للانسان من كثير من المعاني المنوعة والوضيعة؛ فإن المتزوج - بحسب العادة - سيكون في مأمن من الانحرافات الناجمة من عدم الزواج، لا سيما اذا كان يعيش في ضمن مجتمع يعجُّ بالانحراف الخُلقي والسلوكي في كثيرٍ من جوانبه ونواحيه، وحفظ دين الانسان بسبب الزواج امر واضح لا يكاد يخفى؛ حتى ورد في الحديث: «من تزوّج فقد أكمل نصف دينه».

٦- إنّ الزواج هو سنة حياتية لازمة، بل هو من أوكد سنن الحياة، بل هو فطرة فُطرت نفس الانسان عليها، وما امتنع انسان عنها وحرّم نفسه منها إلا وقع في محاذير كثيرة وجسيمة، وابتلي بالحمول والتكاسل.

المقطع الثاني

ولا يخافنّ أحد فيه فقراً؛ فإنّ الله سبحانه جعل في الزواج من أسباب الرزق ما لا يحتسبه المرء في بادئ نظره، وليهتم أحدكم بخُلُق من يتزوَّجها ودينها ومنبتها، ولا يبالغن في الإهتمام بالجمال والمظهر والوظيفة؛ فإنه إغترار سرعان ما ينكشف عنه الغطاء عندما تفصح له الحياة عن جدّها واختباراتها، وقد ورد في الحديث التحذير من الزواج بالمرأة لمحض جمالها، وليعلم أنّ من تزوّج امرأة لدينها وخُلُقها بُورك له فيها.

المنهج القويم للزواج السليم:

في المقطع الثاني من وصيته الخامسة يؤكّد سماحته ﷺ على أمرين ينبغي للشباب المؤمن التوجّه إليهما:

١- إنّ الشاب المؤمن ينبغي أن لا يخاف من الفقر اذا أراد أن يُقدم على الزواج، فلا يمتنع عنه بسبب الفقر؛ لأنّ الله تعالى جعل في الزواج رزقاً وبركة بحدّ لا يحتسبه الانسان في بادئ نظره، فليثق الله،

وليتوكل عليه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(١).

٢- ينبغي لمن يُقدم على الزواج أن يهتمّ بالمرأة التي يريد الزواج منها من ثلاث جهات: (الحُلق، والدين، والمنبت)

والحُلق هو الاخلاق، والدين هو اتيان واجبات الشريعة واجتناب محرماتها، والالتزام بمنهجها في جانب السلوك والعقيدة، والمنبت هو اصل الانسان وعائلته.

وفي المقابل ينبغي ان لا يبالغ في الاهتمام بثلاثة أخرى: (الجمال، والمظهر، والوظيفة).

فإنّ هذه الأشياء ليست جوهرية في استقرار الحياة وثباتها، بل هي أمور ثانوية بالنسبة للثلاثة الأولى، توجب اغتراراً قد ينكشف الغطاء عنه سريعاً حين تتكلم الحياة وتفصح عن جدّها وإختبارتها.

فهناك تسكب العبرات، وتنضح المرأة الصالحة من غيرها، ومن تصبر على قساوة تلك الاختبارات وذلك الجدّ، ومن لا تصبر على

(١) سورة الطلاق، الآيات: ١-٣.

ذلك.

وقد ورد في الحديث الشريف التحذير من الزواج بالمرأة لأجل جمالها فقط دون النظر الى الأشياء الثلاثة الجوهرية؛ فإنّ في ذلك مخاطر وخيمة، سرعان ما تهجم على الحياة فتحيلها الى شقاء وعناء قد يطول أمدهما، كما يشهد بذلك العيان فضلاً عن البرهان.

وينبغي أن يُعلم أنّ من يتزوَّج المرأة لدينها وخلقها فإنّ الله سيجعل له البركة فيها.

المقطع الثالث

ولتحذر الفتيات وأولياؤهن من ترجيح الوظائف على تكوين الأسرة والإهتمام بها؛ فإنّ الزواج سنة أكيدة في الحياة، والوظيفة أشبه بالنوافل والمُتمّمات، وليس من الحكمة ترك تلك لهذه، ومن غفل عن هذا المعنى في ريعان شبابه ندم عليها عن قريب حين لا تنفعه الندامة، وفي تجارب الآخرين شواهد على ذلك.

تحذير الفتيات عن التشبّث بالمتّمّات وترك المهمّات:

ما أعظم الدين في فرائضه وسننه، وما أرقى الدين في أدبه وخلقه، وما أجمل الدين في تعاليمه وإرشاداته؛ فالدين عبارة عن منظومة حياة متكاملة، ينعم الفرد في أكنافه بالعلم والشموخ والسؤدد، ويسود في كلّ محطات حياته، ويسعد في الدارين معاً: الدنيا والآخرة.

عطفاً على المقطع الثاني المتقدّم من الوصية الخامسة يأتي المقطع الثالث ليحذّر فيه سباحته ذاتُ ظُلَّةٍ الفتيات وأولياء أمورهن من ترجيح الوظيفة والعمل على الزواج، او تأخيره الى فترة متأخرة في العمر.

والسبب في هذا واضح، وهو أن الزواج سنة أكيدة من سنن الحياة، وتقتضيها فطرة الانسان، فهو أمر ضروري وعظيم، وأما الوظيفة فهي أشبه بالنوافل والتمّمات.

وفي حال تعارض الاثنان فليس من الحكمة تقديم ما هو اشبه بالنوافل والتمّمات على ما هو سنة أكيدة في الحياة.

والمسألة لا تقف عند هذا الحدّ فحسب، بل تتعداه الى أن ترجيح الوظيفة على تكوين الأسرة والاهتمام بها يكون له آثار سلبية كبيرة، لا يمكن تلافيها، أو يصعب ذلك في قابل الأيام.

فتأخير الزواج عن وقته لترجيح الوظيفة عليه سبب اساس في دخول الانسان في مشاكل نفسية واجتماعية كثيرة.

والحياة مليئة بالشواهد والتجارب في هذا الشأن، وكما يقال: «التجربة عقل ثان» فيجب الاعتبار بها، وإلا فمن غفل عن هذا المعنى في ريعان شبابه فإنه سيندم عليها قريباً، ولكن أنى تنفعه الندامة حينئذٍ؟!!

المقطع الرابع

ولا يحلُّ لأوليائهنَّ عضلهنَّ عن الزواج أو وضع العراقيل أمامه بالأعراف التي لم يلزم الله بها، مثل المغالاة في المهور والانتظار لبني الأعمام أو السادات؛ فإنَّ في ذلك مفسد عزيمة لا يطلعون عليها، وليعلم أنَّ الله سبحانه لم يجعل الولاية للأبء على البنات إلا للنصح لهنَّ والحرص على إصلاحهن، ومن حبس امرأة لغير صلاحها فقد باء بإثم دائم ما دامت تعاني من آثار صنيعه، وفتح على نفسه بذلك باباً من أبواب النيران.

جور العادات على زواج الفتيات:

من الواضح لكلِّ متتبع أنَّ لفيفاً واسعاً من المجتمع يدين بدين العشيرة، وينهج نهجها في سلوكه وتصرفاته، ولا يميز لنفسه أو لغيره مخالفته وإن كان مخالفاً لدين الله تعالى أو لشريعة سيّد المرسلين أو للقيم والمثل.

ومن البيّن لكلِّ من يعيش في أكناف هذه العشائر والقبائل أنَّ

لأفرادها طريقة خاصة في التعامل مع زواج الفتيات.

وهذه الطريقة تتمثل بـصور عدة:

منها: عضلن عن الزواج، والعضل في اللغة بمعنى المنع من التزويج.

ومنها: وضع العراقيل أمام زواجهن؛ وذلك التزاماً منهم بالأعراف والعادات الجارية عندهم في هذه القبيلة أو تلك.

ومن تلك العراقيل:

١ - المغالاة في المهور.

٢ - الإنتظار لبني الأعمام.

٣ - الإنتظار للزوج السيّد اذا كانت البنت من بنات السادة.

وغير ذلك من تلك الأعراف التي ليس عليها في الدين من عين أو أثر، وما انزل الله بها من سلطان، ولا يدعمها شاهد أو يثبتها دليل، وإنما هي عادات وتقاليد توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد، فصارت شرعاً بينهم يجب الأخذ بعهدته، والإلتزام به.

ومن هنا تتأكد أهمية التنبيه على خطأ هذه العادات في أمر الزواج

خاصة لسبيين:

١- إنَّ إتِّباع مثل هذه الأعراف بعيداً عن الدين أمر بالغ الخطورة على مصير المرء في الدنيا وفي الآخرة؛ فإنَّ فيه مفسد عظيمة لم يطلّع عليها اصحابها.

٢- إنَّ من حبس امرأة عن الزواج، وكانت مؤهلة له وتقدّم لها من كان كفواً لها ديناً وخُلُقاً، وكان المنع لغير صلاحها فقد باء بإثم ومعصية دائمة، تبقى ما بقيت معاناة تلك المرأة وأذاها من عدم الزواج، بل يفتح على نفسه بصنيعه هذا باباً من أبواب النيران.

والسرُّ في هذا: إنَّ الأب أو الجدّ من طرف الأب وإن كان كلُّ منهما ولياً على الفتاة في أمر زواجها، فيجب أخذ الإذن من أحدهما في ذلك، ولكن هذه الولاية مقيّدة بالنصح لها والحرص على صلاحها.

وأما في غير ذلك، كما اذا كان الزوج كفواً لها في الشرع والعرف، وكانت محتاجة للزواج حاجة ملحة وفعلية فحينئذٍ لا ولاية لأبيّ منها عليها في أمر الزواج، ويجوز لها أن تتزوج من دون إذن أحدهما، واذا منع أحدهما أو كلاهما - والحالة هذه - فقد رتب على نفسه من الآثار السلبية ما عرفته آنفاً.

هذا في الأب والجدّ من طرف الأب، وأما غيرهما كالأم، والجدّ من طرف الأم والأخ والعم والخال وابن العم وابن الخال وغيرهم فليس لأحد منهم ولاية على البنت في أمر زواجها بتاتاً.

ومن هنا نضع علامة استفهام كبيرة على الممارسات الجارية في بعض مجتمعاتنا وعشائرنا، تلك الممارسات الجائرة في حق الفتيات، المتمثلة فيما يُسمّى بـ (النهوة)، وأيضاً تحكّم الأخوة بمصائر الأخوات، ومن تحكّم الأعمام وبنائهم بمصائر بنات الأخوة، وتحكّم غيرهم في مصير غيرهن؟!

الوصية السادسة

المقطع الأول

السعي في أعمال البرّ ونفع الناس، ولا سيّما ما يتعلق بشؤون الأيتام والأرامل والمحرومين ومراعاة الصالح العام؛ فإنّ فيها تنمية للإيمان، وتهذيباً للنفس، وزكاةً لما أوتيه المرء من نعم وخيرات، وفيها سنٌّ للفضيلة، وتعاون على البرّ والتقوى، وأداء صامت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومساعدة لأولياء الأمور على حفظ النظام العام، ورعاية المصالح العامة، وموجب لتغيير حال المجتمع الى الأفضل، فهو بركة في هذه الدنيا ورصيد للآخرة، وأنّ الله سبحانه يحبّ المجتمع المتكافل المتآزر الذي يهتم المرء فيه بهموم إخوانه وبني نوعه، ويحبّ لهم من الخير مثل ما يحبّ لنفسه، وقد قال عزّ من قائل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، وقال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه ويكره لأخيه ما يكره لنفسه»، وقال أيضاً: «من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها».

وصية الأعلام في رعاية شؤون الايتام:

في وصيته السادسة يحثُّ سماحته عَلَيْهِ السَّلَامُ الشباب على ضرورة السعي في اعمال الخير، ونفع الناس، ويتأكد هذا الامر في رعاية شؤون الايتام والمحرومين، وفي مراعاة ما فيه مصلحة لعامة الناس.

وفي هذا السعي فوائد كثيرة، منها:

- ١- تنمية الإيمان.
- ٢- تهذيب النفس.
- ٣- زكاة لما حصل عليه الإنسان من نعم وخيرات.
- ٤- وفيه سنٌّ وتأصيل للفضيلة والعمل المبارك.
- ٥- تعاون على البرِّ والتقوى، وهذا التعاون مندوب اليه في الشريعة ومطلوب.
- ٦- وفيه أداء صامت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه عملٌ وسعيٌّ بلا كلام، وهو مطلوب.
- ٧- مساعدة لأولياء الامور على حفظ النظام العام ورعاية المصالح العامة، وهو ضروري جداً لا سيما في الوقت الراهن.
- ٨- موجب لتغيير حال المجتمع الى الافضل.

٩- وهو بركة في هذه الدنيا؛ لانه يترك آثاراً طيبة فيها، وهو رصيد وزاد للانسان في الآخرة.

إنَّ الله تعالى يُحِبُّ المجتمع المتكافل المتآزر الذي يهتمُّ فيه الانسان بهموم اخوانه وبني نوعه، ويحبُّ لهم من الخير ما يحبه لنفسه.

ويُعرف هذا الامر من بعض الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(٢).

وايضاً يتضح هذا المعنى مما ورد عن النبي ﷺ، حيث قال: «لا يؤمن احدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه، ويكره لأخيه ما يكره لنفسه».

وقال ﷺ: «من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها».

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

الوصية السابعة

المقطع الأول

أن يُحسن كلُّ إمريءٍ وليّ شيئاً من شؤون الآخرين أمر ما تولّاه، سواء في الأسرة أو في المجتمع؛ فليُحسن الآباء رعاية أولادهم والأزواج رعاية أهاليهم، وليتجنّبوا العنف والقسوة حتى فيما اقتضى الموقف الحزم رعايةً للحكمة، وحفاظاً على الأسرة والمجتمع؛ فإنّ أساليب الحزم لا تنحصر بالإيذاء الجسدي أو الألفاظ النابية بل هناك أدوات ومناهج تربية أخرى يجدها من بحث عنها وشاور أهل الخبرة والحكمة بشأنها، بل الأساليب القاسية كثيراً ما تؤدّي الى عكس المطلوب بتجذّر الحالة التي يُراد علاجها وإنكسار الشخص الذي يراد إصلاحه، ولا خير في حزم يقتضي ظلماً، ولا في علاج لخطأ بخطيئة.

إهداء النور لأولياء الأمور:

في المقطع الأول من وصيته السابعة بحثُ سماحته ﷺ من يتولّى شأنًا من شؤون الآخرين على أن يُحسن أمر ذلك الشيء الذي تولّاه. وهذا الشأن قد يكون: (من شؤون الأسرة)، وقد يكون: (من

شؤون المجتمع).

أما الثاني فيأتي الكلام عليه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

وأما الأول فالإحسان فيه والرعاية تُطلب من:

١ - الآباء بالنسبة الى أولادهم.

٢ - والأزواج بالنسبة الى أهاليهم.

فعلى كل من الزوج والأب تجنّب العنف والقسوة مع الزوجة والولد حتى لو كان الموقف يستوجب الحزم والصرامة، كما لو كان في مورد التربية والتعليم والردع عن المعصية.

وينبغي تجنّب العنف والقسوة في كل الاحوال؛ حفاظاً على الأسرة والمجتمع، ومراعاةً لمقتضى الحكمة في تلك الحال.

وقد ذكر أهل الخبرة والحكمة أنّ هناك أدوات ومناهج تربوية غير أساليب القسوة والشدة، يمكن سلوكها لتوجيه الزوجة والولد، والإبتعاد عن أساليب القسوة والغلظة.

بل حتى أساليب الحزم لا تكون منحصرة في الإيذاء الجسدي مثل الضرب ونحوه، أو الألفاظ النابية كالسباب والشتم والتعير وغيرها؛ لأنّ هناك أدوات ومناهج تربوية اخرى في ذلك، يمكن معرفتها

بالرجوع الى ذوي الحكمة والخبرة.

بل إنَّ الاساليب القاسية كثيراً ما تأتي بنتائج عكسية؛ كونها تؤدِّي الى تجذُّر الحالة السلبية المراد علاجها، وتؤدِّي الى إنكسار هيبة الشخص المراد إصلاحه.

وحينها يكون حال من يريد الإصلاح مع الزوجة والولد ويستعمل القسوة معها كحال من هرب من المطر ووقف تحت الميزاب! بمعنى أنه أراد إصلاح خطأ بخطأ آخر؛ فهو حَزَمَ بظلم وعالج خطأ بخطيئة، ولا خير ولا نفع في حزم اقتضى ظملاً، ولا في علاج الخطأ بخطيئة!

وللأسف فإننا نرى أنَّ من الآباء المتدينين اذا اراد دفع ولده الى الدين والالتزام فإنه يستعمل القسوة والغلظة معه، ولا سيما اذا وجد تمعناً من ولده، وفي بعض الاحيان يلجأ الى الضرب والسباب وغير ذلك من الاساليب القاسية؛ غافلاً عن أنَّ هذه الأساليب لا يمكن أن تؤدِّي الى نتيجة طيِّبة، بل هي تؤدِّي الى العكس غالباً، كما عرفت.

والأمر نفسه نجده عند لفيف واسع من الأزواج المتدينين؛ فإننا نجد أنَّ الزوج لما يرى زوجته قد أخطأت وأراد توبيخها، أو ردعها

وصايا المرجعية الى الشباب المؤمن

عن ذلك الخطأ فإنه يلجأ الى أسلوب التهجم عليها، والإيذاء الجسدي والنفسي لها؛ متوهماً أنّ هذه الأساليب ناجحة وناجعة، والحال أنّها مبغوضة شرعاً، ومؤدية إلى نتائج سلبية.

المقطع الثاني

ومن وُيِّ أمرًا من أمور المجتمع فليهتمّ به، وليكن ناصحاً لهم فيه، ولا يخونهم فيما يغيب عنهم من واجباته؛ فإنّ الله سبحانه متولٍ لأموالهم وأمره جميعاً، وسوف يسأله يوم القيامة سؤالاً حثيثاً، فلا ينفقنّ أموال الناس في غير حلّها، ولا يقررنّ قراراً في غير جهة النصح لهم، ولا يستغلنّ موقعه لتكوين فئة وحزب يتسرّ بعضهم على بعض، ويتبادلون المنافع المحظورة والأموال المشبوهة، ويزيجون الآخرين عن مواضع يستحقونها، أو يمنعون عنهم خدمات يستوجبونها.

الإنداز لذوي القرار:

مما يؤسف له أنّ طيفاً واسعاً من الناس ممّن يتولّى مراكز معينة في دوائر الدولة ومؤسساتها لا يأتي بواجبه بالشكل الذي كُلف به، ولا يحترم أوقات الناس الذين كُلف بقضاء حوائجهم ولا مشاعرهم.

كما أنه لا يحافظ على الممتلكات العامة، ولا يحرص على أموال الدولة، ولا يشغل وقت العمل بالعمل، بل يقضيه في أمور خاصة أو

شخصية، أو في أمور لا تعود على الناس أو على الدولة بالنفع.
وأما السرقات والغش والشهادات المزورة فصار - مع الأسف -
ديدناً لكثير منهم.

ولا شك أنّ في ذلك مفسد كثيرة في خلق الانسان ودينه، بل وفيه
محاذير كثيرة على المجتمع ايضاً.

وفي هذا المقطع من كلامه حثّ سماحته دامَ ظلهُ الشخص الذي يتولّى
شأناً من شؤون المجتمع العامة على أن يراعي جملة من الأمور.
وهذه الأمور هي:

- ١ - ضرورة الاهتمام بما تولّاه من شؤون المجتمع.
- ٢ - وجوب كونه ناصحاً للمجتمع في ذلك الشأن حقّ النصح.
- ٣ - لزوم النأي عن الخيانة فيما يغيب عن الناس من واجباته؛ فإنّ
الله يتولّى أمورهم وأمره معاً، وسوف يقف بين يديه ليسأله سؤالاً حثيثاً
عن انه كيف أدّى عمله؟
- ٤ - التأكيد على ترك إنفاق أموال الناس المؤمن عليها في غير حلّها.
- ٥ - التأكيد على عدم إتخاذ أيّ قرار في غير جهة النصح لمن هو

متولٍ لشؤونهم.

٦ - التأكيد على عدم إستغلال الموقع الرسمي لأغراض فئوية أو حزبية بما يُوفّر تبادل المنافع الممنوعة والأموال المشبوهة، وبما يُسبّب في إزاحة الآخرين عن مواقع يستحقونها، أو يمنعون عنهم خدمات هم بها أوجب وأولى من غيرهم.

المقطع الثالث

وليكن عمله لجميع الناس على وجه واحد فلا يجعله سبيلاً للمجازاة على حقوق خاصة عليه لقرابة أو إحسان أو غير ذلك؛ فإنّ وفاء الحقوق الخاصة بالحقّ العام جور وفساد، فإنّ ساغ لك ترجيح أحد فعليك بترجيح الضعيف الذي لا حيلة له، ولا جهة وراءه، ولا معين له على أخذ حقه إلا الله سبحانه.

إعانة الضعيف في عمل الشريف:

تكملة للمقطع الثاني من وصيته السابعة يؤكد سماحته عليه السلام على لزوم أن يكون عمل المتصدّي للشأن العام جارياً على قدم المساواة بين جميع الناس.

فلا يُفضّل أحداً على آخر من غير استحقاق، كأن يراعي الحقوق الخاصة، ويتعامل مع الناس على أساس هذه الحقوق؛ فيُفضّل من كانت له قرابة به أو إحسان عليه أو غير ذلك.

فلا يصح أن يكون عمله العام وفاءً لخدمة شخصية قدّمها إليه أحدهم، فبدلاً من أن يفني له من ماله الخاص وعمله الخاص يجعل وفاءه له من المال العام والعمل العام.

وللأسف فإنّ هذه التجاوزات في مجتمعنا كثيرة، ومن أطراف عديدة.

ولا يخفى: أنّ وفاء الحقوق الخاصة والخدمات الشخصية بالحقّ العام يعدّ جوراً وفساداً ليست خفية آثاره السلبية.

نعم إذا كان هناك وجه يُسوِّغ ترجيح بعض الناس على بعضهم فليكن الترجيح للضعيف الذي لا حيلة له للوصول إلى مراده، ولا جهة وراءه يمكن لها أن تبلغه مرامه، ولا مُعين له على أخذ حقه سوى الله تعالى.

فيهذا تتمّ العدالة، ويسود الإنصاف، وتحيا طبقات المجتمع طرّاً حياة هائلة من غير ظلم أو اعتساف.

المقطع الرابع

ولا يستظهنّ أحد في توجيه عمله بدين أو مذهب؛ فإنّ الدين والمذاهب الحقّة قائمة على المبادئ الحقّة من رعاية العدل والإحسان والأمانة وغيرها، وقد قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، وقال الإمام (عليه السلام): «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: لن تُقدّس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متتع»؛ فمن بنى على غير ذلك فقد زين لنفسه الأماني الزائفة والآمال الكاذبة، وأحقّ الناس بأئمة العدل كالنبي ﷺ والإمام علي (عليه السلام) والحسين الشهيد (عليه السلام) أعملهم بأقوالهم، وأتبعهم لسيرتهم، وليلتزم المتولي الأمور الناس بمطالعة رسالة الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر عندما بعثه الى مصر، فإنّها وصف جامع لمبادئ العدل وأداء الأمانة وهو نافع للولادة ومن دونهم كلٌّ بحسب ما يناسب حاله، وكلما كان ما تولّاه المرء أوسع كان ذلك له ألزم وأكد.

صلاح الولاية باتباع الهداة:

في المقطع الأخير من وصيته السابعة يُؤكّد سماحته ﷺ على أمرين:

الأمر الأول: يجب ابتعاد المتصدّي للأمر العام عن تغليف عمله بدين أو مذهب، بأن يجعل عمله وإن كان خاطئاً مُوجَّهاً بالدين او المذهب الحق.

وبعبارة أخرى: لا يجعل المتصدّي للأمر العام الدين او المذهب الحق ظهيراً له في توجيه عمله.

وذلك لأنّ عمل المسؤول في الشأن العام - مهما كان في الدقة والمتانة - يبقى معرضاً للخطأ والانحراف، وهذا مما لا ينسجم مع الدين والمذاهب الحقة القائمة على المبادئ الحقة من رعاية العدل والإحسان والأمانة والصدق والتواضع وغيرها.

وهذا هو روح الدين، وهو هدف المذاهب الحقة، وأما الظلم والتعدّي وغير ذلك مما قد يصدر من المتصدّي للأمر العام فهو مما لا يتوافق معها بحال من الأحوال.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿١﴾

وقال الإمام المعصوم عليه السلام: «إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن: لن تُقدَّس أمةٌ لا يؤخذ للضعيف فيها حقُّه من القوي غير متتع» (٢) (٣).

أي: لن تُطهر أمة من القبائح والرذائل إلا اذا كان القويُّ فيها ضعيفاً حتى يؤخذ الحقُّ منه، والضعيف قوياً حتى يؤخذ الحقُّ له، وبكلمة أخرى: لا خير في أمة يخاف فيها البريء، ويأمن المجرم (٤).

فمن بنى في سلوكه على غير ما ذكر من تلك المبادئ الحققة ففي الحقيقة قد زين لنفسه الاماني الزائفة والآمال الكاذبة، وليس له ان ينسب ذلك السلوك الى الدين او المذاهب الحققة.

ثم إن الانسان الذي يكون احقَّ بأئمة العدل كالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والإمام علي عليه السلام، والحسن والحسين عليهما السلام إنما هو من كان عاملاً بأقوالهم ومُتبعاً لسيرتهم.

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) التعتعة في الكلام: التردد من عجز وعي.

(٣) نهج البلاغة، من عهد الامام علي عليه السلام للملك الاشتهر، رقمه: ٥٣، ص ٤٦١.

(٤) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، ٥ / ٤٥٠.

الأمر الثاني: يجب على المتولي لأمر الناس ان يلتزم بمطالعة رسالة الإمام علي عليه السلام لملك الأشتر حين بعثه الى مصر؛ فإنها رسالة في غاية الأهمية لأنها رسالة جامعة لمبادئ العدل وأداء الأمانة.

ومطلعها بعد البسملة:

«هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشرى في عهده إليه حين ولّاه مصر: جبهة خراجها، وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها... إلخ»^(١).

وهذه الرسالة نافعة، ولا يخصّ نفعها بالولاية فقط، بل تعمّمهم ومن كان دونهم من الناس، فلكلّ انسان تكليفه الخاص بحسب الموقع الذي يشغله، والمركز الذي يتولاه، بل كلما كان المركز الذي يتولاه اوسع وأخطر واهمّ كانت مطالعته لتلك الرسالة ألزم وأكد بالنسبة اليه.

(١) نهج البلاغة، من عهد الامام علي عليه السلام لملك الاشرى، رقمه: ٥٣، ص ٤٥٠.

الوصية الثامنة

المقطع الأول

أن يتحلّى المرء بروح التعلّم وهمّ الإزدياد من الحكمة والمعرفة في جميع مراحل حياته ومختلف أحواله، فيتأمل أفعاله وسجاياه وآثارها، وينظر في الحوادث التي تدور حوله ونتائجها حتى يزداد في كلّ يوم معرفة وتجربة وفضلاً؛ فإنّ هذه الحياة مدرسة متعدّدة أبعادها، عميقة أغوارها، لا يستغني المرء فيها عن التزوّد من العلم والمعرفة والخبرة، ففي كلّ فعل وحدث دلالة وعبرة، وفي كلّ واقعة رسالة ومغزى، تفصح لمن تأملها عما ينتمي إليه من الظواهر والسنن، وتمثّل ما يناسبها من العظات والعبر، فلا يستغني المرء فيها عن التزوّد من العلم والمعرفة والخبرة حتى يلقي الله سبحانه، وكلما كان المرء أكثر تبصراً أغناه ذلك في معرفة الحقائق عن مزيد من التجارب والأخطاء، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وقال لنبيه عليه السلام: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

دروس الحياة حياة الدروس:

في المقطع الأول من وصيته الثامنة والأخيرة يوصي سماحته ﷺ الشباب المؤمنين بالتحلي بروح التعلّم والتفهّم، وأن يكون همّهم هو همّ الإزدياد من الحكمة والمعرفة.

وهذا التحليّ وذاك الهمّ لا ينبغي أن يقتصر على مرحلة عمرية معينة وفي ضمن حال وظرف معين، بل ينبغي ان يكون في جميع مراحل الحياة وفي مختلف الظروف والأحوال.

وتعلّمه وهمّه ينبغي أن يكون في ضمن أمرين:

١ - التأمّل في أفعاله وسجاياه وآثارها.

٢ - النظر في الحوادث التي تدور حوله ونتائجها.

وبهذا يمكنه أن يزداد في كلّ يوم معرفة ويضيف الى تجاربه تجربة والى فضله فضلاً.

والسرّ في هذا إنّ هذه الحياة هي عبارة عن سفر كبير يضمّ بين طياته دورساً بالغة وعبراً عظيمة، فيها حياة للدروس والاندراس المكنون في نفس الإنسان.

إذ الحياة مدرسة متعددة الأبعاد، عميقة الأغوار، ليس بوسع المرء

الإستغناء فيها عن التزوّد من هذه الدروس وتلك العبر التي تحتزنها.
و حصول المرء على العلم والمعرفة والخبرة في كلّ يوم يزيده
توصلاً الى إكتشاف الحقائق، ويغنيه عن التجارب المضنية والأخطاء
التي يمكن أن يقع فيها.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١)

ولسان حال الشاب المؤمن ينبغي أن يكون هو منطوق قوله تعالى
لنبيه ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٤.

المقطع الثاني

وينبغي للمرء أن يأنس بكتب ثلاثة يتزوّد منها بالتأمل والتفكير: أولها وأولاهها: القرآن الكريم، فهو آخر رسالة من الله سبحانه الى خلقه وقد أرسلها إليهم ليثير دفائن العقول ويُفجّر من خلالها ينابيع الحكمة، ويُليّن بها قساوة القلوب، وقد بيّن فيها الحوادث ضرباً للأمثال، فعلى المرء أن لا يترك تلاوة هذا الكتاب على نفسه، يُشعرها أنه يستمع الى خطاب الله سبحانه له، فإنه تعالى أنزل كتابه رسالة منه الى جميع العالمين، وثانيهما: نهج البلاغة فإنه على العموم تبين لمضامين القرآن وإشاراته بإسلوب بليغ يُحفّز في المرء روح التأمل والتفكير والإنعاط والحكمة، فلا ينبغي للمرء أن يترك مطالعته كلما وجد فراغاً أو فرصة، وليُشعر نفسه بأنه ممن يخطب فيهم الإمام علي عليه السلام كما يتمنّاه، وليهتم برسالته عليه السلام الى إبنه الحسن فإنها جاءت لمثل هذه الغاية، وثالثها: الصحيفة السجّادية فإنها تتضمّن أدعية بليغة تستمدّ مضامينها من القرآن الكريم، وفيها تعليم لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من توجّهات وهو اجس ورؤى وطموح، وبيان لكيفية محاسبته لنفسه ونقده

لها ومكاشفتها بخباياها وأسرارها، ولا سيّما دعاء مكارم الأخلاق منها.

الجواهر في نظر الأكابر:

لا ينبغي الشك في أنّ الطرق الموصلة الى الله كثيرة ومتعدّدة وهي بعدد أنفاس الخلائق، كما لا ريب في حاجة الإنسان الى دليل يدلّه على تلك الطرق، وإلى مُنبّه يلفت نظره إليها.

ونصيحة سماحة السيد دام ظلّه في هذا المقطع الثاني من وصيته الثامنة تتمحّض في هذا الاتجاه، وتجري في هذا السبيل.

فينبغي للشباب المؤمن أن يأنس بكتب ثلاثة عظيمة الشأن، جليلة القدر، كثيرة العبر والعظات، عالية المضمون والمحتوى، وهي خير دليل له على الله تعالى، وأصدق خليل له في دالاتها تلك.

ويستحسن أن ينفذ ذهنه إلى مضامينها ومحتواها من خلال التأمّل والتفكير فيها؛ فإنّ في ذلك فوائد جمة، لا أن يقف عند حدود لفظها الظاهر.

وهذه الكتب هي:

١ - القرآن الكريم، ٢ - نهج البلاغة، ٣ - الصحيفة السجادية

أما القرآن الكريم، فهو أول هذه الكتب وأولها وهو آخر رسالة أرسلها الله تعالى إلى خلقه، وكان الهدف منها إثارة دفائن العقول، وتفجير ينابيع الحكمة في الإنسان، وتليين قساوة القلوب. وفيه بيان للحوادث التي جرت في سالف الزمان، ذُكرت فيه للمثل وللإستفادة.

ومن هنا ينبغي للإنسان المؤمن أن لا يترك تلاوة القرآن الكريم، بل يُشعر نفسه دائماً على أنه يستمع الى خطاب الله تعالى، فإنَّ الله تعالى أنزله إلى جميع العالمين.

واما نهج البلاغة فهو في جملته عبارة عن تبين لمضامين القرآن الكريم و اشاراته بإسلوب بليغ يُحفِّز الإنسان ويدعوه إلى التأمل والتفكير والانعاط والحكمة.

ولأجل ذلك فإذا وجد الانسان فراغاً أو فرصة فلا ينبغي له أن يترك مطالعته؛ فإنَّ في ترك مطالعته تفويتاً لمنفعة عظيمة.

وينبغي أن يُشعر نفسه بأنه واحد من الأشخاص الذين كان يخطب فيهم الإمام علي عليه السلام، كما كان يتمنى ذلك.

وليهتمَّ برسالة الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام، ولعل

مقصوده ذاتُ ظِلَّةٍ، بذلك رسالته ﷺ التي مطلعها:

«من الوالد الفنان، المقرّر للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر، الذام للدينا، الساكن مساكن الموتى، والظاعن عنها غداً، الى المولود المؤمل ما لا يُدرَك، السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام، رهينة الأيام، ورمية المصائب، وعبد الدينا، وتاجر الغرور، وغريم المنايا، وأسير الموت، وحليف الهموم، وقرين الأحزان، ونُصَب الآفات، وصريع الشهوات، وخليفة الأموات، أما بعد... إلخ»^(١).

هذه الرسالة طويلة وهي رسالة نفيسة جداً، والوقوف عليها لفظاً ومضموناً يكفل للإنسان الوقوف على أسرار قد لا يوفق في تحصيلها من مكان آخر، وإسلوبها إسلوب أخاذ سهل ولكنه عميق فهو بحق من السهل الممتنع، وما أحوجنا إليها.

وأما الصحيفة السجادية فهي تشتمل على أدعية بليغة، تستمد مضامينها من القرآن الكريم.

وتشتمل أيضاً على تعليم ما ينبغي أن يكون عليه الانسان من توجهات وهو اجس ورؤى وطموح.

(١) نهج البلاغة، رقم الرسالة ٣١، ص ٤١٧.

وفيها بيان لكيفية محاسبة الإنسان لنفسه ونقده لها، ومكاشفتها بخباياها وأسرارها، ومن الأدعية المهمة في هذا الصدد دعاء (مكارم الأخلاق) الذي يبدأه الإمام السجاد عليه السلام بقوله: «اللهم صل على محمد وآله وبلغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين، وإنته بنيتي الى أحسن النيات وبعملي الى أحسن الأعمال... إلخ».

وهو دعاء طويل ولكنه نفيس جداً، يحتضن في طياته مطالب عقائدية وأخلاقية مهمة، ومن حسن توفيق المرء أن يتعرض لها من خلال المداومة على قراءة هذا الدعاء ولو في أوقات معينة ضمن الأسبوع.

خاتمة الوصايا

فهذه ثمان وصايا هي أصول الإستقامة في الحياة وأركانها، وهي تذكرة ليس إلّا؛ إذ يجد المرء عليها نور الحقّ وضياء الحقيقة وصفاء الفطرة وشواهد العقل وتجارب الحياة، قد نبّهت عليها الرسائل الإلهية ومواعظ المتبصّرين، فينبغي لكلّ إمريء أن يأخذ بها أو يسعى إليها، ولا سيّما الشباب الذين هم في عنفوان طاقتهم وقدراتهم الجسدية والنفسية والتي هي رأس مال الإنسان في الحياة، فإنّ فاتهم بعضها أو المرتبة العالية منها فليتعلموا أنّ أخذ القليل خير من ترك الكثير، فإن إدراك البعض خير من فوات الكلّ، وقد قال سبحانه: « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ».

أسأل الله أن يوفقكم لما يفضي بكم الى السعادة والسداد في الآخرة والأولى فإنه ولي التوفيق.

٢٨ / ربيع الأول / ١٤٣٧ هـ

مسك الختام ختام المسك:

وقفت قافلة النصح المرجعي إلى الشباب عند محطتها الأخيرة؛ كيما تجمع ما قد تناثر من وصاياها الثمينة، التي هي أصول الاستقامة في الحياة، وتُجمل ما قد فصلته من إرشاداتها الفريدة، التي هي مصادر الهداية في الطريق.

ولقد دارت رحي كلمتها الخاتمة المُجمعة والمُجملة حول ثلاثة امور، ينبغي للشباب المؤمن الالتفات إليها والتمسك بها:

١- هذه الوصايا الثمان، ٢- ومرحلة الشباب، ٣- السعي

فهذه العناصر الثلاثة إن توفّرت لدى أحد فهو محظوظ في حياته؛ فينبغي أن لا يُفوّت على نفسه الفرصة، وأن لا يُضَيِّع ما قد أُتيح له من مصادر القوة في أشياء لا تغني ولا تسمن من جوع.

بل عليه أن يبادر من فوره لإمثال هذه النصائح، واستثمار تلك المصادر، وتطبيق هذه الوصايا؛ حتى يحظى بثمرتها، ويرقى بنفسه حيث كمالها المنشود في الدنيا والآخرة.

نعم... من فاته العنصر الثاني فلا ينبغي له أن يُفوّت العنصر الثالث بعد توفّر العنصر الأول، بل عليه أن يسعى جاهداً حتى يصل إلى ما يمكنه الوصول إليه من السعادة والحظوة والرقى والكمال.

ولا يكون تحسّره على ضياع مرحلة الشباب أو شطر منها بلا فائدة

موجباً لإقاعاده عن سعيه وجدّه نحو رقيّه وتقدّمه؛ فإن أخذ القليل خير من ترك الكثير، وإدراك البعض خير من فوات الكلّ.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. (١)

ثم توجّه ساحتها ذاتُ الظلّة بالدعاء للشباب وغيرهم بأن يوفّقهم الله تعالى لما ينتهي بهم الى السعادة والسداد في الآخرة والدينا، فالله تعالى هو وليّ التوفيق.

الى هنا يجبُ مداد القلم، وتقف حركة اليد، وتنوخ راحلة التوضيح؛ فأسأله تعالى أن اكون قد وفّقت في تسليط ولو جزءاً يسيراً من الضوء حول هذه الوصايا، وإبداء ما قد تضمّنته من جواهر العظات، ودرر المطالب، وقد استفاد الاخوة القراء الاعزاء من ذلك، لا سيّما الشباب منهم، فإن كان الشرح قد نال هذه المرتبة فالمنة لله تعالى والحمد له، وإن قصر دون تلك الغاية فحسبي أنّي بذلتُ ما أستطيعه في هذا المجال، وصفحه تعالى أكبر همّي ومنيّتي.

والحمد لله ربّ العالمين.

(١) سورة الزلزلة، الآية: ٧.

المحتويات

١٢	الوصية الأولى
٢٢	الوصية الثانية
٢٦	الوصية الثالثة
٤١	الوصية الرابعة
٤٨	الوصية الخامسة
٦١	الوصية السادسة
٦٥	الوصية السابعة
٧٩	الوصية الثامنة